الأوقاف ودورها في توفير مستلزمات التعليم في بغداد
(550 –656هـ\ 1160– 1258م)

د. محمد عبد الله القدحات

جامعة السلطان قابوس– (عمان)

ملخص:

ارتبط الوقف من حيث مفهومه ونشأته بالعمل الخيري، وقد تطورت طبيعة الأوقاف تبعا لتطورات التي شهدها المجتمع الإسلامي، حتى نجد الوقف قد أخذ على عاتقه توفير الكثير من احتاجات المجتمع، بل نجده منذ القرن الربع الهجري يتحمل أعباء توفير الخدمات العامة للمجتمع: طرق، وبيمارستانات، وجسور، إضافة للمؤسسات الدينية والتعليمية.

ولقد حازت الحياة العلمية على الكثير من جهود الوقفين لا سيما في مجال المدارس والمكتبات، والتي حظيت برعاية الخلفاء العباسيين وكبار رجال الدولة والأثرياء، الذين أوقفوا أموالهم على عمارتها. إضافة الى بناء المدارس، فقد تكفل الواقفون بتوفير كل ما يلزم العملية التعليمية من كتب ومحابر وألواح، إضافة إلى توفير السكن والطعام والكسوة للطلبة والمدرسين. ونظرا لكثرة تلك الأوقاف وأهميتها، فقد خُصص النُّظار؛ لإدارتها وضمان استمرارها.

لم يقتصر دور الوقف في عملية التعليم على كونه مورداً مالياً ، بل تعدى إلى ضبط العملية التعليمية، فنجد وثيقة الوقف كانت بمثابة اللائحة الأساسية للمؤسسة التعليمية، تضم الأسس التربوية للتعليم والشروط التي يجب أن تتوافر في القائمين بالتدريس ومواعيد الدراسة، والحقوق والواجبات لكل من المعلم والمتعلم.

Abstract:

Both the concept and origin of Waqf was associated with charitable work. The nature of Waqf evolved in relation to the developments witnessed by the Islamic community, where Waqf became responsible for securing many of the society's needs; roads, Bimaristans, bridges, in addition to religious and educational institutions.

Scientific life, also, benefited largely from the efforts of Waqfiyeen (people who provide Waqf), particularly in the field of schools and libraries, which were sponsored by the Abbasid caliphs, state leaders and wealthy people, who allocated money to participate in constructing those institutions. In addition to the construction of schools, Waqfiyeen provided all necessary educational materials; books, inkstands, writing tablets, as well as housing, food and clothing for students and teachers. Due to the abundance of Waqf and its importance, a Nather (administer) was assigned to manage it and ensure its continuation.

The role of Waqf in education was not merely financial; it rather had a controlling role. The Waqf document was as an official bylaw of the educational institution. It included the educational fundamentals, the conditions which must be met by the teaching staff, study dates and the rights and duties of the learner and the teacher.

مشكلة الدراسة وأهدافها والمنهج المتبع :

تهدف الدارسة إلى الأجابة عن جملة أسئلة تعبر بمجملها عن مشكلة الدراسة:

- ما هو أثر الأوضاع السياسية التي عاشتها الخلافة العباسية بعد سيطرة المتغلبين على مقدراتها، وأثر ذلك في تخلي الدولة عن دورها في توفير الخدمات العامة للناس، مما حدا بالوقف لتحمل تلك الأعباء؟
- كيف أسهم الوقف في تطور المجتمع الإسلامي بصورة عامة، وبيان دوره في ازدهار الحياة العلمية؟
- كيف أثر الوقف في مسارات الحركة العلمية من خلال دعمه لظهور المؤسسات التعليمية والممثلة بالمدارس والمكتبات العامة؟

أما المنهج المتبع في إعداد الدراسة، فهو المنهج التاريخي القائم على جمع المادة التاريخية من مصادرها المختلفة وتحليلها للخروج بنتائج علمية تعكس واقع المجتمع الإسلامي في ظل رعاية مؤسسة الوقف لكثير من احتياجات أبنائه.

مقدمة تعريفية بالوقف:

الوقف: لغةً الحبس والمنع. وهو مصدر وقف، يقال: وقفت الدار، إذا حبستها(الجرجاني،1413هـ، ص328). وفي لسان العرب: وقف الأرض على المساكين وللمساكين وقفا: حبسها، ووقفت الدابة، والأرض وكل شيء. وحبس الفرس في سبيل الله وأحبسها، فهو محبس وحبيس، جمعه: حبس والأنثى حبيسة والجمع حِباس. وفي الحديث: ذلك حبيس في سبيل الله، أي موقوف على الغزاة، يركبونه في الجهاد. والأحباس والأوقاف بمعني واحد، غير أن الأولى شائعة عند المغاربة والثانية شائعة عند المشارقة (ابن منظور، 1997، ج6، ص45)

والوقف عند الفقهاء [i] – رغم اختلافهم في صيغ تعريفه- تجمع بمجملها على الإطار العام للمفهوم، وهو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة. جاء في قول للرسول – صلى الله عليه وسلم- لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه عندما جاء يستشيره بأرض أصابها بخيبر. " إن شئت حبست أصله، وسبلت ثمره" (البخاري، 1913هـ، حديث رقم 2737؛ مسلم 1419هـ، حديث رقم 1932).. فالأصل بالوقف منع التصرف في رقبة العين التي يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها، وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداء أو انتهاء(أبو زهرة، 1971، ص5). فإذا كان من أول الأمر على جهة بر لا تنقطع كمسجد أو مدرسة أو سبيل ماء سمي وقفا خيرياً، وإذا كان جهة تحتمل الانقطاع كالذرية، سمي وقفا ذريا، أو أهليا (عشوب، 1935، ص1).

لم يرد في القرآن الكريم نص للوقف بمعناه الاصطلاحي، إلا أن الفقهاء اعتبروه مشمولا بما جاء في الآيات التي تحث على الخير والإحسان، وترغب في الإنفاق في سبيل الله تعالى، ومن هذه الأدلة قوله تعالى: { لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم } (سورة آل عمران: آية 92)، وقوله تعالى: { وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين } (سورة سبأ: آية 39). ومن السُّنّة النَّبوية ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: { إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له } (مسلم، 1419هـ، حديث رقم ، الترمذي، (د. ت)، 1376؛ النسائي، (د ت) حديث رقم 3561) فالصدقة الجارية في هذا الحديث تشمل ما وقفه الإنسان على سبيل التقرب إلى الله تعالى.

تتجلى الصدقة الجارية في أوضح صورها في مبدأ الوقف، وما يكفله من استمرارية المنفعة وشمولها. ونظام الوقف هو أحد النظم التي تستهدف خير الإنسان وتحقق الطمأنينة والاستقرار للمجتمع. لقد تنوعت أغراض الوقف وتعددت ابتداءا من القرن الثاني الهجري ليشمل الحياة الاجتماعية والعلمية والدينية.

ظهرت آثار الوقف العملية من خلال المجالات المتنوعة والمتعددة التي شملت جوانب الحياة الاجتماعية. فقد نهض الوقف برسالة ضخمة في إقامة المؤسسات الخيرية، ورعايتها، وبرزت أهميته بوجه خاص، في توفير الرعاية الاجتماعية، للطبقات الضعيفة، والفقيرة، ولكل محتاج إلى العون، والرعاية، كابن السبيل، وطالب العلم، والمريض. بل اتسع نطاقه ليشمل أوجه الحياة الاجتماعية (الزحيلي، 1998، ص 1379).

اتسعت دائرة الوقف في العصر العباسي، وزادت رغبة الناس فيه، فلم يعد مقتصرا على الخلفاء وكبا رجالات الدولة، بل شاركهم به مختلف فئات المجتمع كل حسب قدراته وإمكانياته المادية. كما شهد الوقف كذلك توسعا في الجهات المستفدية، فلم يعد قاصرا على رعاية الفقراء والمساكين(اليعقوبي (د. ت)، ص27)، بل اتسعت رقعته ليشمل توفير مختلف الخدمات العامة في المدينة الغسلامية، وكان التعليم من جملة اهتماماته، بل أكثرها حصة من الأوقاف(القحطاني، 1994، ص25).

وازداد الأمر تطورا فيما يتعلق في إدارة أموال الأوقاف وأصولها، فاستُحدثت في الدولة العباسية وظيفة " صدر الوقوف" أنيط بصاحبها مهمة الإشراف على إدارتها وتثميرها وعمارة ما خرب منها، وكذلك تعيين الأعوان لمساعدته في النظر فيها(ابن الجوزي ، 1359هـ، ج10، ص11؛ الكبسي، 1426هـ، ج1، ص32).

الوقف وتحقيق مفهوم مجانية التعليم

يمكن القول أن الأوقاف أخذت على عاتقها منذ مطلع القرن الرابع الهجري\ العاشر الميلادي مهمة توفير الخدمات العامة للناس، لا سيما بعد أن تخلت التدولة عن كثير من مهامها بفعل التطورات السياسية الصعبة التي أخذت تعيشها الخلافة العباسية بعد تغلب العناصر الاجنبية: الأتراك البويهيون، السلاجقة على مقدرات الدولة، وفرغ خزائن دار الخلافة بفعل تلك التطورات.

كانت رعاية الحركة العلمية من أهم المجالات التي أقبل الوقفون عليه (الشتري، 1420هـ، ج1، ج1، ص505)، فتنوعت الوقوف على أماكن التدريس المختلفة كالمساجد والمدارس ودور القرآن ودور الحديث والربط وخزائن الكتب، وحبّسوا الأحباس لإدامتها ؛ حفظا للدين ورعاية للعلم وأهله من الطلبة والمدرسين (معروف، 1965، 1ج، ص64). ، وقد ظل الحال على هذا قرونا عديدة حتى أنه نستطيع الجزم أن التقدم العلمي وازدهار العلوم المختلفة في بلاد المسلمين كان من ثمرات نظام الوقف الإسلامي، فقد كان الوقف بمثابة الطاقة التي دفعت

بمسيرتها نحو النمو والتطور، إذ كان ينفق من ريعه على وجوه البر في النواحي الاجتماعية والتعليمية وفي تعزيز الجهاد(الدوري، 1996، ص 1).

حيث إن التعليم في تاريخ الحضارة الإسلامية لم يعتمد على الدولة في غالب الوقت، فقدم الوقف للعالِم حرية العمل بكفاءة وإخلاص، فالكل يشعر بواجب النهوض بما يجب عليه من نصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين. وبقيت الهيمنة والظهور لشرع الله حتى عصور انحسار قوة المسلمين، لذا فإن إدارة المؤسسات التعليمية بصورتها العامة ونظام التعليم وتعيين المعلمين والأموال الموقوفة لجعل هذه المؤسسات قادرة على أداء رسالتها صار بأيدي العلماء(الصالح ، 1426هـ، ص50). وهذا ما دفع ابن جبير إلى القول:" فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات كثيرة، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها"(ابن جبير، 1981، ص234).

ارتبط النشاط العلمي في الإسلام بالحياة الدينية، فانكب المسلمون على تعلم أمور دينهم وما يتعلق به من أمور فقهية، لذلك كان المسجد يقوم بوظائف عديدة، فإلى جانب كونه مكانا للعبادة يؤدي فيه المسلمون صلواتهم، كان نقطة انطلاق الحركة العلمية، تجلى ذلك بصوره واضحة في الحلقات العلمية التي يتحلق فيها طلاب العلم بمشايخهم، يتلقون عنهم العلم ويدرسون المسائل الفقهية.

ومع منتصف القرن الخامس الهجري بدأت المدارس، وأخذت مجالس العلم تستقل في مبانٍ مستقلة عن المسجد، لكنها ظلت ملتصقة به. ولعل في قيام هذه المدارس بالقرب من المساجد كمدرسة أبي حنيفة في بغداد التي أنشئت مجاورة لمسجد أبي حنيفة (جواد، 1941، ص38). دلالة على ارتباط هذه المدارس بالاتجاه الديني لها(المزيني، 1421هـ، ص601)..

كانت المدارس ركناً أساسياً في جملة منشآت المدينة الإسلامية. بدأ إنشاء المدارس في مدن شرق العالم الإسلامي على يد أتباع المذهب السني، فقد أنشأ نظام الملك- الذي وزّر للسلطانين ألب أرسلان وملكشاه الأول- عدة مدارس في بعض أقطار العالم الإسلامي، سميت باسمه، ورسم لها التصدي للفكر الشيعي الذي غلب على النشاط الفكري منذ العهد البويهى. ولعل هذا يفسر السبب الذي جعل المدارس الجديدة تقتصر على العلوم الدينية واللغوية، وتترك العلوم الطبيعية الأخرى(رؤوف، 1966، ص12).

كان لشروط الواقفين أثرها فيما يتصل بترسيخ اتجاهات عقدية معينة في بعض البلدان دون بعض. كما كان لهذه الشروط أثرها في تنمية ما يتصل بهذا الاتجاهات من كتب ومدارس وأربطة ونحوها، فعلى سبيل المثال اشترط نظام الملك أن يكون المستفيدين من وقفه من أتباع المذهب الشافعي، لذا نرى انتشار هذا المذهب أكثر من غيره في العراق.

لا شك أن كثرة الأوقاف على المدارس لا سيما في عصور الازدهار المادي للحضارة الإسلامية قد أسهم في تحقيق مفهوم مجانية التعليم حيث لم يكن تفرغ الأساتذة والمعلمين والعلماء للتعليم ممكنا لو لم تؤمن معيشتهم على وجه يكفيهم. أشار ابن جبير إلى كثرة أوقاف المدارس في بغداد، "ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبَّسة تصير إلى الفقهاء والمدرسين بها، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم"(ابن جبير، 1981، ص183)..

حظيت هذه المدارس بصفة خاصة برعاية الخلفاء العباسيين وكبار رجال الدولة والأثرياء، الذين أوقفوا أموالا على عمارتها، وكذلك ما يصرف عليها، مثل تعهدها بالإصلاح والترميم وتقرير أعطيات معلومة لأولئك النفر الذين يقومون بالتدريس فيها أو الإشراف عليها(معروف، 1965، ج1، ص64).

ونظرا لكثرة تلك الأوقاف وأهميتها، خصص لها النظار والمشرفون وغيرهم من الموظفين لإدارتها وضمان استمرارها(الرحيم، 1987، ص123). وغالبا ما قُرنت مشيخة المدرسة بالنظر في أوقافها، وهذا ما نلمسه من مرسوم تعيين الفقيه ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستاني مدرسا ومشرفا لمدرسة مشهد أبي حنيفة سنة (604 هـ/1207م) فقد جاء في المرسوم " وليبذل جهده في عمارة الوقوف المذكورة وإنمائها واستثمار حاصلها وارتفاعها، مستخيرا من يستخدمه فيها من الإجلاء الأمناء"(ابن الساعي، 2010، ج9، ص233) وقد أوردت المصادر أسماء عدد ممن تولى هذا المنصب منهم: الفقيه ابن فضلان(ابن الساعي2010،ج9، ص233)، الذي تولى النظر في أوقاف المدرسة النظامية مضافا إلى مهمة التدريس[ii]، والفقيه أبو على يحيى بن ربيع الواسطي (ت606هـ/1209م) الذي قال عنه ابن كثير: "صار مدرسا بالنظامية وناظرا على أوقافها " (ابن كثير ،(د ت)، ج13، ص53).

لم تكن أوقاف المدارس متماثلة من حيث الوفرة، ويرتبط هذا بثراء الواقف وما تجود به نفسه، وهو ما يظهر بجلاء على منتسبي المدرسة. وكان الطلبة يتركون المدرسة عندما لا يعد الوقف قادرا على توفير أرزاقهم، ومثال على ذلك ما أورده النعيمي، فقد أشار إلى تدني الإقبال على المدارس بسبب انقطاع مخصصات الطلبة. والسبب في ذلك هو أن معظم الأوقاف تكون أراضٍ زراعية ومحاصيل، وهي ترتبط بالظروف الطبيعية من حيث الأمطار والآفات وغيرها الآفات (المزيني، 1421هـ، ص603).

ولم يقتصر الوقف في عملية التعليم على كونه مورداً مالياً له، بل تعدى ذلك إلى طرقه جوانب العملية التعليمية كافة، حتى أنه يمكن القول: إن وثيقة الوقف كانت بمثابة اللائحة الأساسية للمؤسسة التعليمية، حيث تضم الأسس التربوية للتعليم والشروط التي يجب أن تتوافر في القائمين بالتدريس ومواعيد الدراسة، والحقوق والواجبات، وما إلى ذلك من التنظيمات الإدارية والمالية.

ولما كانت الموارد المالية للمدرسة محددة بريع الوقف، فقد حدد الواقفون أعداد الطلبة الذين يتلقون العلم في المدرسة، وليس ذلك فحسب، بل إنهم حددوا طلبة كل مذهب من المذاهب الأربعة وطلبة التفسير، وطلبة الحديث، وما إلى ذلك من التخصصات التي تدرس في المدرسة.

كان تولى التدريس في المدارس لا سيما الكبيرة منها كالنظامية منصبا مرموقا يطمح إليه الكثير من العلماء، حتى أن بعضهم غيّر مذهبه استجابة لشرط الواقف ليحظى بذلك المنصب كالوجيه النحوي (ت612هـ/1215م) الذي كان حنفياً فتحول إلى مذهب الشافعي(ابن خلكان ، ج4، ص152)؛ ذلك لأن شرط الواقف أن لا يتولى أي منصب من مناصبها من هو على غير المذهب الشافعي. كما انتقل أبو جعفر عمر بن أبي بكر بن عبيد الله الدباس من المذهب الحنبلي إلى الشافعي، ليتولى فيما بعد إشراف دار الكتب العتيقة بالمدرسة النظامية) (ابن الساعي، 2010، ج9، ص165).

وكان تعيين المدرسين بهذه المدارس يتم بمرسوم خاص يصدر عن الخليفة (عسيري، 1987، ص270). أورد ابن الساعي مرسوم الخليفة الناصر لدين الله بتعيين الفقيه ضياء الدين التركستاني مدرسا بمدرسة مشهد أبي حنيفة وناظرا في أوقافها (ابن الساعي، 2010، ج9، 234).

كانت السمة الغالبة على المدارس الموقوفة في بغداد خلال فترة الدراسة أنها أحادية المذهب، بحيث لا يدّرّس بها إلا فقه المذهب الذي وقفت لأجله. فقد وجد في بغداد أكثر من ثلاثين مدرسة، مقسمة على أتباع المذاهب: الحنفي، الشافعي، والحنبلي. وتعد مدرسة مشهد الإمام أبي حنيفة أقدم مدرسة في بغداد وقفت على أتباع المذهب الحنفي(جواد، 1941، ص33-42).ثم تلتها: المدرسة المغيثية[iii]، والمدرسة التتشية[iv]. ومن مدارس الشافعية: المدرسة النظامية[v]،المدرسة التاجية[vi]، المدرسة الثقتية [vii]، والمدرسة الكمالية (ابن الفوطي، (د.ت)، ج5، ص121).

وكان للحنابلة مدارس، كغيرهم من أتباع المذاهب الأخرى، منها: مدرسة المخرمي(الإسنوي،1970، ج2، ص28) ، ومدرسة ابن الشمحل(ابن الجوزي، 1359هـ، ج10، ص200)، و مدرسة ابن بكروس(سبط ابن الجوزي، 1952، ج8، ق1، ص344)، ومدرسة ابن الجوزي(ابن الجوزي، 1359هـ ، ج10، ص250). وأنشأت السيدة بنفشه إحدى زوجات الخليفة المستضيء مدرستها التي عرفت باسمها(ابن الجوزي، 1359هـ ، ج10، ص253).

استمر إنشاء المدارس أحادية المذهب حتى مطلع القرن السابع الهجري. عندما قام الخليفة المستنصر بالله بإنشاء المدرسة المستنصرية سنة(631هـ/1233م) (مجهول 1351هـ، ص53؛ الغساني ،1975 ، 1975، ص457). والتي وقفها على المذاهب الأربعة، وقد أراد من مشروعة التقريب بين المذاهب، فمجرد التقائهم وتدارسهم في مكان واحد علماء ومتعلمين على فترة الأربع سنوات التي يقضيها الطالب في المدرسة؛ فإن ذلك مدعاة إلى التقريب في وجهات النظر، وخلق نقاط التقاء بينهم، تدفعهم في المحصلة إلى الاجتهاد فيما يستجد، لا البقاء في دائرة الخلاف التي سادت بينهم قرونا طويلة.

لقيت المدرسة الجديدة (المستنصرية) قبولا واسعا من لدن طلبة العلم، فوفدوا إليها من مختلف الأمصا الاسلامية،

فاشتغلوا بالبحث والدرس ونسوا الضغائن والأحقاد المذهبية، وأصبح يجمع طلبة المدرسة المستنصرية على اختلاف عناصرهم ومشاربهم وطوائفهم شعور واحد وهو الاعتزاز بالمدرسة المستنصرية ومكانتها وعلومها (أمين، 1960، ص119).

وفي خطوة مشابهة، أنشأت زوجة الخليفة المستعصم بالله السيدة "باب بشير" مدرسة عرفت باسمها. تقع في الجانب الغربي من بغداد. وكان الشروع في بنائها في سنة (649هـ/1251م). لكن توفيت منشئتها في شوال سنة (652هـ/1252م) قبل افتتاحها الذي تم افتتاح في جمادى الآخرة سنة (653هـ/1253م) أي بعد ثمانية أشهر من وفاة السيدة باب بشير. وحضر الافتتاح الخليفة المستعصم بالله وأبناؤه، فجلسوا في وسطها، وحضر خواص الخليفة ومماليكه، ثم حضر الوزير ابن العلقمي وكافة أرباب الدولة وذوو المناصب والمدرسون (مجهول، ، 1351هـ، ص ص307 – 8 ؛ الغساني، 1975، ص603). كانت هذه المدرسة قد أنشئت على قاعدة المدرسة المستنصرية لتدريس المذاهب الأربعة وهي بذلك تكون ثاني مدرسة متعددة المذاهب، ليس في بغداد فقط، وإنما في العالم الإسلامي.

وقف كتاتيب للأيتام

رغم انتشار المدارس في شتى المدن الإسلامية، إلا إن بعض الواقفين كان يحرص على إنشاء المكاتب الخاصة لتعليم أبناء الأيتام الذين فقدوا عائلهم، أو الأطفال من أبناء المسلمين من الفقراء الذين لم يكن في وسع ذويهم إرسالهم إلى الكتاتيب التي تعلم بأجرٍ، أو إحضار معلمين يعلمونهم في منازلهم، وكان يطلق على هذا النوع من الكتاتيب: "مكاتب الأيتام" فقد أنشأ الخليفة المستنصر إلى جوار المستنصرية دار لتعليم القرآن الكريم. وشرط الواقف أن يكون في هذه الدار ثلاثون طفلاً من الأيتام، وأن يكون بها من الأشخاص من يحفظهم(الإربلي، 1964، ص288)، كما أنشأت السيدة باب بشير دارا للقرآن على شاطئ دجلة بالجانب الغربي، يدرس فيها أبناء الفقراء(مجهول، 1351هـ، ص275؛ الغساني، 1975، ص603).

الوقف والتعليم الطبي

لم يقتصر دور الوقف على دعم التعليم الديني وحلقات القرآن فحسب، بل تعداه إلى علوم أخرى لها تماس بحياة المجتمع، ونقصد بذلك علوم الطب. إن المتتبع لتاريخ الطب والمستشفيات في الإسلام يجد تلازما شبه تام بين تطور الأوقاف واتساع نطاقها وانتشارها في جميع بلاد المسلمين من جهة وبين تقدم الطب، كعلم وكمهنة، والتوسع في مجال الرعاية الصحية للمواطنين من جهة أخرى. حيث يكاد يكون الوقف هو المصدر الأول والوحيد في كثير من الأحيان للإنفاق على العديد من المستشفيات والمدارس والمعاهد الطبية. وقد ظل الحال على هذا قرونا عديدة ولذلك يذهب كثير من الباحثين في التاريخ الإسلامي إلى أن التقدم العلمي وازدهار علم الطب والصيدلية والكيمياء في بلاد المسلمين كان ثمرة من ثمرات نظام الوقف الإسلامي(السيد ، 1404 هـ،ص 282 -292).

يذكر ابن جبير في رحلته عند وروده بغداد بأنه وجد حيا كاملا ومهما من أحياء بغداد يشبه المدينة الصغيرة كان يسمى بسوق المارستان، يتوسطه قصر فخم جميل وكبير تحيط به الغياض والرياض والمقاصير والبيوت المتعددة وجميع المرافق الملوكية على حد تعبيره. وكلها أوقاف أوقفت على علاج المرضى، وكانت مجهزة للمرضى وطلبة الطب والأطباء والصيادلة الذين يقومون على تقديم الخدمات إذ كانت الخدمات والنفقات جارية عليهم من الأموال الموقوفة في أطراف بغداد على هذا الحي الزاهر(ابن جبير ، 1981، ص18).

لم يسر تعليم "الطب النظامي" بخط مواز للتعليم العام الذي ركز في بداياته على العلوم الدينية. فالمدارس النظامية التي أنشأها الوزير نظام الملك السلجوقي كان الهدف الرئيسي منها الدفاع عن المذهب السني وتعزيزه و تخريج أجيال من المتفقهين بالمذهب، تتحمل مسؤولية مقاومة التيار الشيعي الذي وصل إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية أثناء السيطرة البويهية على بغداد. لذا فإن المدارس الأولى لم تلتفت إلى تدريس العلوم العقلية كالطب والصيدلة والعلوم الرياضية. وقد استمر الوضع على حاله حتى هدأت الحركات المناوئة للدولة (رؤف، 1966، ص13)، وسيطر السلاجقة "السُنّة" على مقدرات الحكم بعد طرد البويهيين من العراق. فكان تدريس الطب نظريا يجري في المستشفيات في قاعات خصصت لتلك الغاية، يلقى بها الأساتذة محاضراتهم والطلبة معهم كتبهم وآلاتهم، وتجرى المناقشات الطبية ثم يصطحب الأستاذ تلامذته للمرور على المرضى لمعالجتهم ولتمرين الطلاب على الحالات العملية(جمعة، 1993، ص281) .

أما مدارس الطب ذات الدراسة المنتظمة فقد أتت في مرحلة لاحقة على ذلك حتى ظهرت حركة المدارس، وكان لها صداها في تطور تدريس الطب، وكان منشأ هذا النوع من المدارس الطبية بلاد الشام، " وحسبنا أن النعيمي قد خصص فصلا في كتابة " الدارس " للحديث عن مدارس الطب بها (النعيمي ،1990، ج2، ص101).

كانت الخطوة الأكثر شمولا في التعليم الطبي في بغداد تمثلت بإنشاء الخليفة المستنصر بالله إيوان الطب ضمن حرم المدرسة المستنصرية سنة (633هـ/1235م). وشرط أن يكون بهذلك الإيوان جماعة من المشتغلين بالطب، يرأسهم شيخ يرجعون إليه. وجعل للعاملين فيه الجرايات والمخصصات المالية والعينية حتى الطبيخ والصابون. كما أمر بتوفير كل ما يحتاجه المرضى من الأدوية والأطعمة على نفقته الخاصة (مجهول، 131هـ، ص82). من هذا نرى أن الإيوان بالإضافة إلى مهمته التعليمية كان يقدم خدمات المعالجة للمقيمين بالمدرسة المستنصرية من مدرسين وطلاب وقَوَمة وخدم. واقتصار مهمة المعالجة على المقيمين بالمدرسة المستنصرية لا يقلل من شأنه إذا علمنا أن عدد المنتسبين لهذه المدرسة يقرب من خمسمائة شخص(الرحيم، 1987، ص159).

اشترط المستنصر أن يتردد الأطباء الأستاذة مع طلبتهم على مرضى مدرسة المستنصرية صباح كل يوم لمعالجة طلبتها وإعطائهم الدواء، وأن تكون هنالك أقسام داخلية للطلبة مع مخصصات شهرية تدفع لدارسي الطب عدا المواد العينية(ابن الكازروني،1970، ص 260؛ مجهول، ، 1351هـ، ص82).

توفير السكن للطلبة والمدرسين

حرص واقفو المدارس ودور التعليم المختلفة في كثير من المدن الإسلامية على توفير كافة احتياجات الطلبة الدارسين فيها ومدرِّسيهم، وبالأخص المسكن الملائم لهم، كي يجد الطلبة والأساتذة المناخ المناسب لتلقي العلم. فكان من مكملات كثير من المدارس إنشاء مرافق ملحقة بها تخصص لسكنى الطلبة والمدرسين. كما وجد أيضاً مثل هذه المساكن يسكنها المدرسون والعلماء المرتحلون لتلقي العلم وتعليمه في المدن الإسلامية، وهذا ما عرف في الحضارة الإسلامية بالمساكن الداخلية. ويعدّ هذا الأمر بحق أحد مفاخر الحضارة الإسلامية، ومنجزاتها. وقد انتشرت هذه المساكن الداخلية في كثيرٍ من مدارس مصر والشام والعراق، وأصبحت مرفقاً من مرافقها المهمة والضرورية. ولم تكن تلك المساكن مقصورة على المدارس بل يشاركها في ذلك كل من المساجد والربط، حيث كانت تلك الأماكن مراكز تعمل جنباً إلى جنب مع المدارس على رعاية شؤون الطلبة وإيوائهم (المزيني، 1421هـ، ص60).

جرت العادة منذ عهد نظام الملك بناء الغرف والبيوت الخاصة بسكن المدرسين والطلاب والمعيدين وسائر الموظفين في المدرسة ذاتها كما في مدرسة أبي حنيفة والنظامية المستنصرية والبشيرية وغيرها ببغداد(رؤوف، 1966، ص25).

كان نظام المساكن الداخلية في المدارس الإسلامية في بغداد شأن غيرها من المدن الإسلامية من مفاخر التعليم الإسلامي، حيث ساعد هذا النظام على توفير الجو المناسب للطلبة والمدرسين، كي ينقطعوا لطلب العلم بعد أن تكفل مؤسسو المدارس بتوفير ما يلزم المقيمين بها من المأكل والملبس والمسكن بجانب ما يتقاضونه من مرتبات شهرية. كما أنها جعلت التعليم حقاً للجميع، لا سيما الفقراء والغرباء (المزيني، 1421هـ، ص604).

اختلفت نوعية المساكن في جودتها من مدرسة لأخرى تبعاً لقدرة منشئها على إقامة مثل تلك المرافق، والصرف على ساكنيها وإعاشتهم، وتبعاً لجدوى الوقف المحبوس عليها، حيث بلغت بعض المساكن حداً كبيراً من الجودة والإتقان، فنالت إعجاب من شاهدها، ومرّ بها(المزيني، 1421هـ، ص604).

وكانت تلك الغرف تقسم إلى قسمين: القسم السفلي يخصص كمأوى للمدرسين غالباً لضعفهم وكبر سنهم. " وأما الضعيف ومن يقصد الفتيا والاشتغال عليه فالمساكن السفلية أولى بهم ". ويخصص الطابق العلوي عادة لسكن الطلبة من الشبان " والمساكن العالية لمن لا يضعف عن الصعود، وأولى بالمشتغل وأجمع لخاطره إذا كان الجيران صالحين" (شمس الدين، 1986، ص25)

وكان لسكن هذه المدارس آداب وشروط على الطالب أن يلتزم فيها، غالبا ما تتضمنها وثيقة الوقف، تناولها ابن جماعة(شمس الدين، 1986، ص25) وحددها بأحد عشر أدبا، على رأسها: أن يتحقق الطالب من مدى شرعية البناء، ومن الطريق التي آل بها ذلك البناء، والشروط الموضوعة له ولساكنيها، وذلك من أجل حفظ دين الطالب إذ ينبغي عليه أن يتعامل مع الحلال من ناحية، وان يحقق تنفيذ الشروط الموضوعة له من ناحية أخرى وإلا "

فالساكن يتعرض لخسران دينه وثمرة عمره". بعد هذا الشرط الأساسي ينتقل بنا الكاتب إلى نصائح وإرشادات يوجهها إلى هذه الفئة الساكنة في دار مخصصة للعلم، فتلك الفئة من طلبة العلم، واجبهم أن لا يعرضوا دينهم وخلقهم للسوء بما قد يقدمون عليه من سلوك وتصرفات تؤذيهم وتؤذي غيرهم (ابن جماعة، 1986، ص159).

خدمات أخرى للطلبة

لم تقتصر خدمات المؤسسة العلمية الوقفية على تأمين بيوت العلم للصغار والكبار، بل إن أكثرية المدارس كانت تؤمن خدمات رعاية منسوبيها من مدرسين وطلاب، ونظرا للأهمية المادية لهذه الرعاية فقد اشترط الواقفون في كتب الوقفية أعدادا معينة من الطلاب حتى لا تزيد أعباء المؤسسة في الإنفاق، فقد شرط الخليفة المستنصر بالله " أن يكون عدد الفقهاء مائتين وثمانية وأربعين متفقها. كما كانت المدرسة المستنصرية ببغداد تؤمن لمنسوبيها إضافة للرواتب الشهرية الخبز واللحم والفاكهة والصابون والفرش وكذلك الدواء(مجهول ، 1351هـ، ص58).

وبلغت العناية والرعاية للمدرسين أن كثيرا من الوقفيات بلغت رواتب البعض منهم فيها ستين ألف درهم سنويا، وخصصت لهم مخصصات للانتقال والإنفاق على الخيول والبغال التي تنقلهم بين مساكنهم والمدارس التي يدرسون فيها. وكانت هناك أوقاف خصصت لشراء ألواح الطلبة والأقلام والمداد والورق والحبر والمحابر(مجهول ، 1351هـ، ص58)

ولكي نفهم دور الوقف في رعاية المدارس ومؤسسات التعليم، لا بدّ من إيراد تفاصيل النفقة التي حددها الواقف في نصّ وقفيته. ومثال على ذلك وقف المدرسة المستنصرية، والذي يعكس بجلاء مستوى المعيشة الذي حرص الواقف على توفيره لمنتسبي المدرسة وخاصة من العلماء والطلبة. فقد اجتهد أن يرفه عنهم بأمور لم يسبق إليها، ليتمكنوا من التفرغ للبحث، ولئلا تشغلهم عنه مشاغل الحياة. فقد خصص لكل منتسبيها من إداريين ومدرسين وطلاب ما يكفيهم من الأطعمة والنفقة، ونوضح ذلك مفصلاً:

الوظيفة	عـــــــدد الموظفين	الجرايات العينية اليومية	الجرايات النقدية(شهرياً)
ناظر المدرسة	1	عشرون رطلاً من الخبز، وخمسة أرطال من اللحم بحوائجها وخضرها وحطبها	اثنا عشر ديناراً
المشرف	1	عشرة أرطال من الخبز، وثلاثة أرطال من اللحم	سبعة دنانير

الكاتب	1	له كما للمشرف	له كما للمشرف
المدرسون	4	عشرون رطلاً من الخبز، وخمسة و أرطال من اللحم بخضرها وحوائجها وحطبها	اثنتا عشر ديناراً
مدرس النحو	1	ستة أرطال خبز، ورطلان من اللحم بحوائجها	ثلاثة دنانير
مدرس الطب	1	له كما للنحوي	له كما للنحوي
الشيخ المقرئ	1	خمسة أرطال خبز، وغرفان طبيخاً	ثلاثة دنانير
شيخ دار الحديث	1	ستة أرطال خبز، وغرف طبيخ	ديناران وعشرة قراريط
المعيدون	16 لكل مذهب	سبعة أرطال من الخبز، وغرفان طبيخاً	ثلاثة دنانير
معيد دار القرآن	1	أربعة أرطال خبز، وغرف طبيخ	دينار وعشر قراريط
القارئ بدار الحديث	1	أربعة أرطال من الخبز، وغرف طبيخ	ديناران
خازن المكتبة	1	عشرة أرطال خبز، وأربعة أرطال لحم بحوائجها	ثلاثة دنانير
إمام صلاة لكل طائفة	4	-	عشرة قراريط إضافة الى مشاهرته
مرتب الصفوف	4	-	دينار واحد
طلاب الفقه	248	أربعة أرطال خبز وغرف طبيخ، إضافة الى الحلوى والفاكهة والصابون، ولكل طالب يسن في المدرسة بساط ومسرجة	ديناران
طلاب الحديث	10	ثلاثة أرطال خبز وغرف طبيخ	ثلاثة عشرة قيراطاً وحبة
طلاب القرآن	30	له كما لطالب الحديث	له كما لطالب الحديث
طلاب الطب	10	له كما لطالب الحديث	له كما لطالب الحديث

ولأجل استمرارية المدرسة في أداء عملها وتقديم العلم لطلابها، خصص لها الأوقاف الكثيرة، شملت عدة أرباع وحوانيت ببغداد، وعدة قرى، بحيث بلغ مقدار الحاصل السنوي لها ما يزيد على سبعين ألف مثقال من الذهب- أي ما قيمته تسعمائة ألف دينار ذهبا (معروف، 1965، ج2، ص402).

الإشراف على المدرسة وتنظيم شؤونها

كان النظر في المدرسة ووقوفها على الأغلب يناط بمدرسها إذا كان بها مدرس واحد، أو أحد مدرسيها إذا كان بها أكثر من مدرس. وفي الحالتين يلاحظ أن وثيقة الوقف نصت على ذلك. فعندما أسندت مهمة التدريس بمدرسة مشهد الإمام أبي حنيفة لضياء الدين احمد بن مسعود التركستاني سنة 604هـ\ 1207م فكان من جملة الأعمال التي نصّ عليها مرسوم الخليفة الناصر لدين الله الإشراف على وقوفها وعمارتها والإشراف على طلبتها. في الوقت نفسه عليه مراعة إنفاق حاصل الوقف في رعاية المدرسة وعمارتها، وتثمير أملاك الوقف وصيانتها، مركزا على أن يقوم بهذه المهمات بنفسه، لا أن يوكلها إلى غيره" وليبذل جهده في عمارة الوقوف المذكورة واستنمائها واستثمار حاصلها، مستخيراً من يستخدمه فيها من الاجلاد الأمناء ذوي العفة والغناء"(ابن الساعي، 2010، ج9، ص ص234-235).

ولا تقتصر مهام مشرف المدرسة وناظر وقفها على ذلك، بل عليه متابعة الطلبة من حيث الالتزام بالدروس وحضور مجالس العلماء، وكذلك الإشراف على خزانة كتبها وحفظها من التلف والضياع، لذا فعليه أن لا يسمح بخروج كتاب من مقتنياتها إلا بالرهن(ابن الساعي، 2010، ج9، ص236).

إن أثر الوقف على المدارس لم يقتصر على كونه المورد المالي لها، بل تعدى الأمر إلى كافة جوانب العملية التعليمية، حتى يمكن القول أن وثيقة الوقف كانت بمثابة اللائحة الأساسية للمؤسسة التعليمية، التي تظم الأسس التربوية للتعليم، والشروط الواجب توفرها في القائمين بالتدريس ومواعيد الدراسة، وما إلى ذلك من التنظيمات الإدارية والتعليمية. فالمدرس يتم اختياره وفق شروط ومؤهلات خاصة" ممن أعرق في الدين منسبه، وتحلى بعلوم الشريعة أدبه، واستوى في الصحة مغيبه ومشهده، وشهد له بالأمانة لسانه ويده، وكشف الاختبار منه عفة وسداداً، وأبت مقاصدها الأناة واقتصاداً رأى الإحسان إليه والتعويل عليه في التدريس" (ابن الساعي، 2010، ص 236).

وقف الكِتاب

لا نجد تاريخا مؤكدا يحدد بداية الاتجاه نحو وقف الكتب، ومع ذلك فقد نتلمس البدايات في مكتبة عبد الحكم الجمحي التي أنشأها في مكة المكرمة في القرن الهجري الأول " اتخذ بيتا فجعل فيه شطربحات ونردات ودفاتر فيها من كل علم، وجعل في الجدار أوتادا فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جرّ دفترا فقرأه أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم "(الأصبهاني (د. ت)، ج4، ص51).

لكن مع ازدهار التأليف، ونشاط الحركة العلمية في العالم الإسلامي المعروف في ذلك الوقت، وكثرة الدارسين بدأ الشعور بأهمية توفير الكتب لأكبر عدد من المستفيدين يتعمق في نفوس الحكام والوزراء والعلماء والأثرياء، ووجد هؤلاء في الكتاب وسيلة من وسائل العمل الخيري من منطلق الرغبة في إشاعة العلم والتغلب على مصاعب الحصول على الكتب من أنحاء العالم الإسلامي لطلبة العلم في مدن ومناطق معينة، فأدى ذلك إلى ظهور الوقف الخاص بالكتب والمكتبات. فمن الناس من يوقف كتبه على المسلمين عامة دون تعيين فتوضع كتبه في خزانة الجامع، فقد وقف أبو علي أحمد بن إسماعيل (ت541هـ/1146) كتبه على جامع المنصور[viii] ببغداد (الصفدي، ج6، ص157).

وكان أكثر جامع ذكرته المصادر وقفا هو الجامع الزيدي(ix). وخزانة كتبه وقفها الشريف أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الزيدي (ت575هـ/1179م) (جواد، 1944، ص7). ومعظم الكتب التي حوتها هذه المكتبة فيما بعد كانت وقفا من العلماء. فقد وقف صبح بن عبد الله الحبشي المتوفى في بغداد سنة (584هـ/1188م) الكتب الكثيرة، وكان يتولى خزنها وإعارتها في المكتبة لطلاب العلم إلى حين وفاته (عواد، 1946، 229)، وحمل هذا العمل العلماء الآخرين على الإقتداء بهذا أمثال الجغرافي ياقوت الحموي الذي وقف كتبه على الجامع الزيدي ببغداد، وسلمها إلى المؤرخ ابن الأثير فحملها بدوره إلى هناك(ابن خلكان، 1972، ج6، ص139). وخزانة كتب ياقوت لابد أن تكون من أنفس الخزائن وأحفلها بالكتب الثمينة خاصة أن هذا الرحالة الذي اتخذ من الاتجار بالكتب حرفة له، قد جمع لنفسه وللناس بعده كل ما هو نفيس (عواد، 1946 ، ص230).

ومن المساجد التي حظيت بالوقوف وخاصة الكتب مسجد قمرية ببغداد أيضا. وكان السبب الذي دفع الخليفة المستنصر بالله إلى انشاء هذا المسجد، أنه أراده أن يكون دارا للعلم والحديث، فضلا عن دوره في العبادة، قبل أن تتم عمارة المدرسة المستنصرية. ويؤيد ذلك قول ابن الكازروني: " فتمت عمارته في سنة ست وعشرين وستمائة، وشرط أن يكون فيه من المتلقين ثلاثين نفسا وشيخ مصلّ به ومعيد "(ابن الكازروني، 1970، ص260). ولتحقيق هذه الغاية العلمية فقد جعل في المسجد خزانة كتب تحوي نفائس الكتب (مجهول، 1351هـ، ص4).

وكان بعضهم يحدد المستفيدين من الكتب الموقوفة، كما فعل أبو محمد عبد الله ابن الخشاب (ت567هـ/1171) فقد اشترط أن يكون المستفيدون من كتبه الموقوفة أهل العلم فقط (ابن خلكان، 1972، ج3، ص102) ووقف البعض كتبه على تلاميذه، كما فعل تاج الدين زيد بن الحسن الكندري(ت613هـ\ 1216م) الذي أوقف كتبه على تلميذه ياقوت الحموي، ثم على ولده من بعده، ثم على العلماء من بعدهم. ويظهر ضخامة عدد ما أوقفه الكندري مما ذكره أبو شامة الذي اطلع على فهرسها:" قرأت بخطه فهرس كتبه التي وقفها على ياقوت، ثم على ولده، ثم على العلماء، فوجدتها سبعمائة وإحدى وستين مجلدة" (أبو شامة، 1974، ص98).

كان في مدرسة مشهد أبي حنيفة خزانة كتب نفيسة موقوفة على طلبة العلم لها من يتعهدها ويعتني بأمر خزنها (جواد، 1941، ص42). وللدلالة على أهمية كتب هذه الخزانة ما روي من اطلاع ابن الجوزي على ثبت محتوياتها من المصنفات والأسفار، وإن لم يشر إلى مجموع هذه المحتويات وأنواعها (عواد، 1946، ص226). ومن نص التوقيع بتولية أبي الفضل التركستاني التدريس بمدرسة أبي حنيفة سنة (604هـ/1207م) تبرز أهمية تلك الخزانة فقد جاء فيه " ويثبت ما بخزانة الكتب من المجلدات وغيرها، معارضاً ذلك بفهرسته متطلباً ما عساه قد شذّ منها، ليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها ونفضها (ابن الساعي، تاريخ، ج9، 234).

كما نجد اهتمام الخليفة الناصر لدين الله بمكتبة النظامية[X]، فلما زارها ووجد ما لحق بها من الإهمال والتلف، أمر في سنة (589هـ/1192م) بعمارة خزانتها، ونقل إليها من الكتب النفيسة ألوفاً لا يوجد مثلها، ونقل تلك الكتب من الخزانة الخاصة به(الأيوبي، 1968، ص170)

كما تكررت تلك الحالة بعد افتتاح المدرسة المستنصرية سنة (631هـ/1233م) فقد زودت بمجموعات كبيرة من أنفس الكتب "ذوات الخطوط النفيسة والفصول المضبوطة والمحتوية على سائر العلوم. " وقد حملت هذه الكتب على مائة وستين جملا، سوى ما نقل إليها بعد ذلك، وجعلت وقفاً بدار الكتب التي أُنشئت بالمدرسة (الإربلي، 1964، ص288، الغساني، 1975، ص458)، وأمر الخليفة المستنصر الشيخ ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب الخليفة الخاصة بترتيب المكتبة، فحضر إلى خزانة المدرسة ورتبها أحسن ترتيب، وقسمها في خزائن على حسب العلوم ليسهل تناولها (مجهول، 1997، ص81).

وهناك مكتبات خاصة مستقلة لا ترتبط بأي مؤسسة تعليمية وإنما تشبه المكتبات العامة في يومنا هذا، ولعل مرد ذلك إلى شرط الواقف المبنى، ناظر هذا الوقف " فمن الناس من يوقف كتبه على المسلمين عامة دون تعيين فتوضع كتبه في خزانة الجامع، ومنهم من يخصص فيقول: أوقفتها على المكان الفلاني أو بالبلدة الفلانية.ومنهم من يترك استعمالها حرا على حين يضع آخرون شروطا لاستعمالها وإعادتها كما فعل القاضي ابن حيان الذي منع إعارة كتبه خارج المبنى(الحميدي، 1952، ص188).

أما انتشار خزائن الكتب الموقوفة فيرى الدكتور ساعاتي أن القرن الرابع الهجري هو البداية الظاهرة لهذا الانتشار لدرجة أننا " قلما نجد مدينة تخلو من كتب موقوفة "(ساعاتي، 1988، ص33).

الخاتمة:

لعب نظام الوقف الإسلامي دورا مميزا في الجانب الحضاري للدولة الإسلامية، وأسهم في انتعاش المدينة الإسلامية من خلال المؤسسات الخدمية التي أنشئت فيها، والتي قدمت خدمات جليلة للمجتمع. وكانت رعاية الحركة التعليمية صورة واضحة لأثر الوقف في نشر العلم من خلال المساجد والمؤسسات التعليمية والمكتبات؛ فالوقف عُدَّ رافدا ماليا مهما لديمومة تلك المؤسسات التي أسهم في إنشائها وتمويلها أوقاف الخلفاء والأمراء والأثرياء.

لا شك أن غزارة الأوقاف على المدارس قد أسهم في تحقيق مفهوم مجانية التعليم، كما أتاحت للعلماء الحرية العلمية إلى حد كبير، فأغنتهم عن الحاجة إلى أخذ الأموال من الحكام، فأسهم في صيانة كرامة العلماء وطلاب العلم، الأمر الذي حفظ لهم مكانتهم في المجتمع. في الوقت نفسه كان له الأثر العظيم في نبوغ العلماء وتقدم المعرفة في الحضارة الإسلامية لا سيما في العلوم الدينية والإنسانية.

كما حظي الكِتاب الإسلامي باهتمام الوقف، حيث أُوقفت العديد من الكتب في المساجد و المدارس والأربطة، . وقد أدى ذلك إلى اتساع دائرة التأليف والنشر، لا سيما إذا علمنا أن المدارس والأربطة كانت تختص بعضها برعاية

مذهب بعينه، فتوجهت عناية العلماء إلى تأليف المؤلفات العديدة، لشرح مذهب من المذاهب، وتدريسه وضمان انتشاره.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأولية:

- القرآن الكريم.
- الإربلي، عبد الرحمن بن سنبط قنيتو(1964) خلاصة الذهب المسبوك من سير الملوك، صححه مكي السيد جاسم، بغداد، دار المثنى.
- الإسنوي جمال الدين عبد الرحيم(1970) طبقات الشافعية، ط2، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة الإرشاد.
- الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (د. ت) الأغاني، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مطابع كوستا توماس
- الأيوبي، محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه (1968) مضمار الحقائق وسرّ الخلائق، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، عالم الكتب،
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (1413ه)صحيح البخاري، ط2، استانبول،
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سوره (د.ت) السنن، حكم على أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف.
- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد المعروف (1981) الرحلة، بيروت، دار الهلال.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (1359ه) المنتظم في أخبار الملوك والأمم، حيدر آباد الهند، مطبعة دائرة المعارف العثمانية.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد (1972) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر.
- ابن الساعي، أبو طالب علي بن أنجب ، 2010، تاريخ ، ج9، تحقيق محمد القدحات، دار الفاروق، عمان.
- سبط بن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن قزأ وغلي المعروف (1952) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند.
- أبو شامة، أبو محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل (1974) تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، ط2، صححه الشيخ محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، بيروت، 1974م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (2000) الوافي بالوفيات، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث
-ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي(د. ت) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الغساني، إسماعيل بن العباس المشهور (1975) العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمد، بغداد، دار البيان.
- ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق بن تاج الدين (د .ت) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد عبد القدوس، لاهور.
- ابن الكازروني، علي بن محمد (1970) مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد، بغداد، مطبعة الحكومة.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي(د. ت) البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف.
- مجهول(ينسب لابن الفوطي) (1351هـ) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مصطفى جواد، بغداد، مطبعة شفيق.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري(1419هـ) صحيح مسلم، ط1، الرياض دار السلام.
- المقدسي، عبد الله بن قدامة الحنبلي (1406هـ) المغني، تحقيق عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، مصر، دار هجر.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (1414هـ) لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي (د . ت) سنن النسائي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- النعيمي، عبد القادر بن محمد (1990) الدارس في تاريخ المدارس، ط1، أعدّ فهارسه إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف (د. ت) مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، تحقيق محمد كمال عز الدين، عالم الكتب، بيروت.

المراجع الحديثة

- أمين ،حسين (1960) المدرسة المستنصرية ، بغداد ، مطبعة شفيق.
- الرحيم، عبد الحسين (1987) الخدمات العامة في بغداد (400- 656هـ) بغداد، دار الحرية.
- رؤف، عماد عبد السلام (1966) مدارس بغداد في العصر العباسي، بغداد، دار البصري.
- الزحيلي، وهبة (1998) الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي، ط2، دمشق، دار الفكر.
- أبو زهرة، محمد (1971)محاضرات في الوقف، ط2، مصر، دار الفكر العربي.

- ساعاتي، يحيى محمود (1988) الوقف وبنية المكتبة العربية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات.
- شمس الدين، عبد الأمير (1986) المذهب التربوي عند ابن جماعة ملحق به نص كتاب تذكرة السامع، بيروت، دار أقرأ.
- عثمان، محمد عبد الستار (1988) المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 128، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون.
- عسيري، مريزين (1987) الحياة العملية في العراق في العصر السلجوقي، مكة المكرمة، دار الطالب الجامعي.
- عشوب، عبد الجيل عبد الرحمن (1935)، كتاب الأوقاف، ط2، مصر، مطبعة الرجاء.
- القحطاني، راشد (1994) أوقاف السلطان الاشرف شعبان على الحرمين، الرياض، منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية.
- الكبيسي، محمد عبيد،(1426هـ)أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، الرياض، منشورات وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف.
- معروف، ناجي (1965) تاريخ علماء المستنصرية , ط2، بغداد، مطبعة العاني.
- البحوث:
- أمين، حسين (1976)المدرسة الإسلامية في العصر الإسلامي، وأثرها في تطوير التعليم، بحث ضمن مجموعة بحوث منشورة بعنوان في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- جمعة، علي (1993) الوقف وأثره التنموي, ضمن أبحاث ندوة نحو دور تنموي للوقف, الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.
- جواد، مصطفى (1941) أول مدرسة في العراق، بغداد، مجلة المعلم الجديد، السنة السادسة، العدد الأول.
- جواد، مصطفى(1944) الإخاء في الثقافة ووفق الكتب، مجلة الحضارة، بغداد، العدد الثالث والثلاثون، 1944.
- جواد وسوسه (1966)مدينة المنصور وجامعها، مجلة سومر، مج22، الجزء الأول.
- الدوري، عبد العزيز (1996) دور الوقف في التنمية، ندوة أهمية الأوقاف في عالم اليوم، التي عقدها المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (الأردني) في لندن.
- الرشيد، ناصر (1426هـ) تسخير البحث العلمي في خدمة الأوقاف وتطويرها، ندوة مكانة الوقف في الدعوة والتنمية المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة 18-20 شوال، 1420هـ، الرياض، منشورات وزارة الشؤون الإسلامية الأوقاف.
- السيد، عبد الملك أحمد (1404هـ) الدور الاجتماعي للوقف, وقائع الحلقة الدراسية لتثمير ممتلكات الأوقاف, جدة, البنك الإسلامي للتنمية.

- الصالح، محمد (1426هـ) الوقف وأثره في الأمة، ندوة مكانة الوقف في الدعوة والتنمية المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة 18-20 شوال، 1420هـ، منشورات وزارة الشؤون الإسلامية الأوقاف، الرياض.
- عواد، كوركيس (1946) خزائن الكتب الهامة في العراق في أيام العباسيين، مجلة سومر، المجلد الثاني، الجزء الثاني.
- المزيني، إبراهيم (1421هـ)الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، المنعقدة بالمدينة المنورة في الفترة من 25-27 محرم، منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، الرياض.